حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسلاميِّ والوسيط

٦

الهيئة المصرية العامة للكتاب

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإسلاميِّ والوسيط

مجلة سنوية محكمة تعني بالتاريخ الإسلامي والوسيط

يصدرها سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط

بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية

حقوق الطبع محفوظة

للهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب

١٨٧٥٠

الترقيم الدولي

١٤٤٠هـ/٢٠١٨م

قطعة ٤ بلوك ٧ ـ المنطقة التاسعة ـ شارع د. رؤوف عباس ـ مدينة نصر ـ القاهرة

تليفون : ٠١١٢٧٣٨٩١٢ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٤ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٦ ـ فاكس : ٢٤٧٢٨٢٩٨

Email: Seehist1995@yahoo.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ
التَّاريخِ الإسلاميِّ والوسيط

تُصْدرها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

المراسلات : الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

العدد السادس

القاهرة

٢٠١٨م

رئيس مجلس الإدارة أ. د/ أيمن فؤاد سيد

هيئة التحرير

رئيس التحرير أ. د/ حسين عبد الله مراد
مدير التحرير د/ محمد فوزي رحيل
المحررون : أ. د/ صلاح عاشور
أ. د/ عبير زكريا سليمان
د/ عبد الناصر عبد الحكم
أ.د/ نهلة أنيس مصطفى

الهيئة الاستشارية

أ.د/ إسحق تاوضروس عبيد
أ. د/ أيمن فؤاد سيد
أ.د/ حاتم عبد الرحمن الطحاوي
أ.د/ عفاف سيد صبرة
أ.د/ محمود إسماعيل عبد الرازق
أ.د/ يسري أحمد زيدان

الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ،
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية أو السمنار أو الناشر

شروط النشر

ـ أن يكون الباحث عضوًا في الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .

ـ أن يتسم البحث بالأصالة المنهجية العلمية ، والجدة في الموضوع .

ـ أن يكون البحث صحيح اللغة سلس الأسلوب واضح الدلالة .

ـ ألا يكون قد سبق نشره ، أو قُدِّمَ للنشر إلى جهة أخرى ، وألا يكون مستلًّا من رسالة علمية .

ـ ألا تزيد صفحات البحث عن ٣٠ ورقة .

ـ أن يكتب المتن بخط Simplified Arabic بنط ١٤ ، والعنوان الرئيس بنط ١٨ Black ، والعناوين الجانبية بنط ١٤ Black .

ـ الحواشي:

= الحواشي العربية بنط ١٢ Simplified Arabic حسب النظام المعمول به في هذا العدد .

= الحواشي اللاتينية بنط ١٠ Times New Roman حسب النظام المعمول به في هذا العدد .

ـ أن تذكر المعلومات الببلوجرافية للمصادر والمراجع كاملة عند أول ذكر لها في الحواشي ، استغناءً عن قائمة المصادر والمراجع .

ـ يسلم عدد ٢ نسخة ورقية من البحث لمقر الجمعية بمدينة نصر خلف مدرسة المنهل ، وترسل نسخة إلكترونية لمدير التحرير الدكتور/ محمد فوزي رحيل على البريد الإلكتروني raheela2010@gmail.com

ـ تحكيم البحوث يكون سِرِّيًا ، بمعرفة هيئة تحرير المجلة .

كلمة التحرير

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه . يسعد هيئة تحرير حولية سمنار ، التاريخ الإسلامي التي يصدرها سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية أن تقدم للقراء الكرام العدد السادس ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م من الحولية ، وهي الحولية التي أسسها الراحل المؤرخ الجليل الأستاذ الدكتور علي السيد علي ـ رحمه الله ـ عام ٢٠١١م . ويضم هذا العدد بين دفتيه أحد عشر بحثًا ، تطوف بنا عبر فرعَي التاريخ الإسلامي والوسيط؛ إذ يلحظ المطالع لبحوث العدد تنوع الدراسات المقدمة بين فرعَي التخصص ، كتبها مجموعة من الباحثين المجيدين من مختلف الجامعات المصرية ، وافتتح العدد بمقال حول العطاء العلمي لمؤسس السمنار أ .د/ علي السيد علي ـ طيب الله ثراه ـ بعنوان «علي السيد رائد دراسات الحرم القدسي الشريف» ، وبدءًا من هذا العدد تنوى أسرة التحرير افتتاح الأعداد القادمة بمقال حول سيرة أحد رواد تخصص التاريخ الإسلامي والوسيط الراحلين أملًا في حفظ سير هؤلاء الأعلام حتى تكون قدوة ونبراسًا لأجيال قادمة من المؤرخين .

وترحب أسرة السمنار بالمتخصصين في التاريخ الإسلامي والوسيط للمشاركة في جلسات السمنار الشهرية ، بإلقاء بحوثهم بشرط الأصالة المنهجية وجدة الموضوع ، ومن يرغب في نشر بحثه في الحولية سوف يقدم للتحكيم السري بمعرفة هيئة التحرير ، وما يجاز منها ينشر في الأعداد التالية إن شاء الله . كما يرحب السمنار بجميع المتخصصين والمهتمين بمختلف فروع التاريخ لحضور الجلسات لإثرائها بالنقاش المُثمر .

ويطيب لأسرة التحرير تقديم أسمى آيات الشكر والتقدير لمجلس إدارة الجمعية برئاسة المؤرخ الجليل والمحقق الكبير الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد ؛ لجهودهم الدؤوبة لازدهار الجمعية المصرية للدراسات التاريخية لتظل في صدارة الجمعيات التاريخية العربية .

والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل،،،،،،

أسرة التحرير

المحتـويات

الصفحة

على السيد علي رائد دراساتُ الحرمِ القدسيِّ الشريف
محمد فوزي رحيل ١١-١٦

أسرةُ ثيوفلاكت ودورُها السياسيُّ والدينيُّ في روما
محمد زايد عبد الله ١٧-٥٠

مكتباتُ الأديرة في ضوْءِ التيبيكا البيزنطيةِ
نعيمة محمد إبراهيم ٥١-٨٦

سفاراتُ العلماءِ في العصرينِ الغزنويِّ والسلجوقيِّ
مرفت رضا ٨٧-١٣٠

الوشايةُ وأثرُها في البلاطين المرابطيِّ والموحديِّ
أحمد إبراهيم رفاعي ١٣١-١٤٨

دولةُ الخطَا في الصينِ وتركستانَ وكرمانَ
عبد الناصر إبراهيم عبد الحكم ١٤٩-١٨٢

ادعاءُ النبوةِ في مصر والشامِ عصر سلاطينِ المماليكِ
محمود عبد المقصود ثابت ١٨٣-٢١٨

الكلابزيةُ في عصرِ سلاطينِ المماليكِ
أحمد عبد الله أحمد ٢١٩-٢٤٤

قراءةُ الجوقِ وقراؤها في مصَر خلال القرنينِ ٨-٩هـ
محمد جمال حامد الشوربجي ٢٤٥-٢٦٨

المجددونَ والتاريخُ الإسلاميِّ (الإمام محمد عبده نموذجًا)
حسام عبد الظاهر ٢٦٩-٣٠٢

صورةُ صلاحِ الدينِ في السينما الغربيةِ بينَ الحقيقةِ والخيالِ
فتحي عبد العزيز محمد ٣٠٣-٣٢٣

الوشاية وأثرها في البلاطين المرابطي والموحدي

أحمد إبراهيم رفاعي سرور*

تعد الوشاية أحد أهم الموضوعات؛ لأنها تعكس مدى التوترات السياسية والاجتماعية داخل أي مجتمع، وفي الوقت نفسه توضح مدى يقظة الدولة، وحتى تتضح أمامنا الصورة لابد من طرح تعريف لها، فهي تعني: نقل ما يكره نقله سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه، وسواء كان النقل بالتصريح أو بالتلويح أو الكتابة أو الحركة، أم كان المنقول عيبًا أو نقصًا في المنقول عنه أو لم يكن، بشرط أن تكون إلى مَن يخاف إلى جانبه[١]، وهي تعني الكلام الكاذب أو النم أو السعاية لدي السلطان[٢].

لعبت الوشاية دورًا خطيرًا داخل البلاطين المرابطي والموحدي، لاسيما أنها لقيت آذانًا تصغي إليها، دون التأكد ـ في بعض الأحيان ـ من صدقها أو كذبها، خاصة في العصر الموحدي، وغالبًا ما كانت تتم تلك الوشايات بين المتنافسين سياسيًا حول المناصب، أو بين العلماء أو الحاقدين لمكانة البعض، ويضاف إلى النوع السابق نوع آخر، ممثل فيما ينقل للحاكم من تابعيه وعيونه.

---

* باحث حاصل على دكتوراه في التاريخ الإسلامي.

(١) الزبيدي (محمد بن محمد الحسيني، المتوفى سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩١م): إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، بيروت ـ مؤسسة التاريخ العربي، ١٩٩٤م، ٧: ٥٦٤-٥٦٦.

(٢) ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، المتوفى سنة ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، القاهرة ـ دار المعارف، ب.ت، ٤٨٤٧.

من هذا المنطلق سوف يسير البحث في هذين الاتجاهين ، الأول : يمثل المتنافسين سياسيًا أو علميًا ، والثاني : يمثل الوشاية الرسمية المنقولة للحاكم من عيونه.

١ـ وشايات المتنافسين علميًا وسياسيًا والحاقدين:

تعد تلك النوعية الأكثر شيوعًا خلال فترتي المرابطين والموحدين ، وأكثرها خطورة؛ لأنها لا تتوقف عند كونها مجرد أخبار منقولة عن شخص ، حيث تتدخل عوامل الحقد والغيرة لتغذيتها بالأخبار الكاذبة ، أملًا في إيقاع أقصي عقوبة بهؤلاء المنافسين.

اشتد التنافس العلمي بين مجموعة من علماء هذه الفترة ، حيث نالت الوشايات عددًا من أكابرهم ، نقمًا وحسدًا من البعض علي هؤلاء ، لما نالوه من مكانة في عصرهم ، وممن تعرض للأذى بسبب الوشاية في العصر المرابطي الشيخ أبى العباس أحمد بن محمد بن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف ، وهو أحد أقطاب الصوفية بالمغرب الإسلامي[١] ، وقد وصل ابن العريف مكانة كبيرة في عصره أوغرت صدور معاصريه عليه ، ومن هؤلاء : القاضي أبو بكر محمد بن إبراهيم الغساني المعروف بابن أسود ، حيث سعي به ابن الأسود لدى الأمير علي بن يوسف (٥٠٠ـ٥٣٨هـ/١١٠٦ـ١١٤٣م) وحذره من تنامي مكانته، وأنه يمثل خطرًا على الدولة ، وقد لقي هذا التحذير قبولًا لدى الأمير ، لاسيما أن الدولة المرابطية كانت تعاني في تلك الفترة من حركة ابن تومرت ، فأخذت على

---

[١] ابن الزيات التادلي (أبو يعقوب يوسف بن يحيى ، المتوفى سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م) : التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبى العباس السبتى ، تحقيق أحمد التوفيق ، الدار البيضاء ـ منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، ١٩٩٧م ، ١١٩؛ التادلي الصومعي (أحمد الصومعى ، المتوفى سنة ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م) : المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزى ، تحقيق علي الجاوى ، الرباط ـ منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير ، ١٩٩٦م ، ٢٠١.

عاتقها مواجهة أية دعوة أو حركة مثيلة؛ حتى لا يتكرر خطئها السابق مع ابن تومرت ، الأمر الذى يفسر الضغط الذى لاقاه الصوفية من المرابطين آنذاك ، وكذلك الملاحقة لهم في بلاد المغرب ، لاسيما أنهم قد شملوا بين أذرعهم تيارًا باحثًا عن السلطة[١] ، كان سببًا في تورطهم في الصراع مع السلطة الحاكمة في ذلك الوقت[٢].

على أية حال ، فقد استغل ابن أسود تلك الأوضاع ، ومن تحركات ابن قسي ـ أحد أقطاب التيار الصوفي الباحث عن الحكم ـ وازدياد تابعيه أن أوغر صدر علي بن يوسف على ابن العريف ، فصدرت الأوامر بإحضاره إلى الحضرة المراكشية[٣] ، ويبدو أن ابن أسود لم ينتظر وصول أوامر الأمير علي بن يوسف ، بل دفعه حقده أن يقنع عامل مدينة المرية Almeria بغضب الأمير علي بن يوسف على ابن العريف ، وحرضه على القبض عليه وإرساله إلى مراكش بتلك الطريقة المذرية ، التى لا تتناسب مع عالم كبير كابن العريف ، حيث تم تكبيله بالقيود ، بدعوى الحيطة والحذر من هربه[٤].

إلا أن الأمير على بن يوسف لم يكن ليرضى عن إحضار ابن العريف بتلك الطريقة ، ومما يدل على ذلك أنه أنكر على عامله تسرعه ونهجه هذا النهج مع ابن العريف ، بل وقدر فضله فأمر بإخلاء سبيله[١] ، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل

---

(١) فقد أرسل إلي أبي الحسن المالقي حين سجن قائلًا : «سال سيل الفتنة ونحن طريقه ، وغشي ليل المحنة وفينا فريقه ، وانخسفت الأرض وفيها المسيء والبريء». ابن العريف (أحمد بن عطاء الله الصنهاجي ، المتوفى سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م) : مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة ، جمع أبو بكر عتيق بن مؤمن ، تحقيق عصمت دندش ، بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٣م ، ١٨٠.

(٢) المصدر نفسه ، ١٨٠؛ ابن الخطيب (لسان الدين بن الخطيب ، المتوفى سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) : أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق ليفي بروفنسال ، بيروت ـ دار المكشوف ، ١٩٥٦م ، ٢٤٩.

(٣) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ٢٤٩.

(٤) ابن الزيات التادلي : التشوف ، ١١٩.

زادت مكانة ابن العريف لديه مما أغضب ابن أسود، فقام بدس السم له في الطعام، واحتال عليه إلى أن أكله فمات على الفور[٢].

لم تختلف قضية أبي الوليد بن رشد عن ذلك كثيرًا، حيث يظهر فيها دور الوشاة بوضوح، فتشير الروايات التاريخية إلي أن ابن رشد نشأت بينه وبين مجموعة من علماء قرطبة Cordova وحشة سببها الحسد والمنافسة[٣]، فحاول البعض منهم أن يستخدموا بعض ما جاء في مصنفاته، وتأولوا الخروج فيها عن سنن الشريعة، وحاولوا تقديمها للخليفة المنصور (٥٨٠-٥٩٦هـ/ ١١٨٤-١١٩٩م) بمراكش في عام ٥٩٠هـ/١١٩٣-١١٩٤م، فلم يتمكنوا من مسعاهم لانشغال الخليفة بأمور الجهاد[٤]. ومن خلال نص المراكشي يتضح لنا أن الذين سعوا للنيل من أبي الوليد هم من علية القوم وذوي النفوذ، «إن قومًا ممن يناوئه من أهل قرطبة، ويدعي معه الكفاءة في البيت وشرف السلف، سعوا به عند أبي يوسف»[١].

---

(١) ابن الأبار (أبو عبد الله بن أبى بكر القضاعي، المتوفى سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م): المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨م، ١٧.

(٢) ابن الزيات التادلي: التشوف، ١٢٠؛ التادلي الصومعي: المعزي، ٢٠١؛ عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني ٥١٠-٥٤٦هـ/١١١٦-١١٥١م، بيروت ـ دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨م، ٦٩.

(٣) ابن عذارى (أبو عبد الله محمد كان حيًا ٧١٢هـ/١٣١٢م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، بيروت ـ دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥م، ٢٢٦؛ عبد الكريم الفيلالي: التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، القاهرة ـ شركة ناس للطباعة، ٣: ٢٠٠٦م، ٦٨-٦٩؛ عبد الله السويسي: تاريخ رباط الفتح، الرباط ـ دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٧٩م، ٣١.

(٤) ابن عبد الملك المراكشي (أبو عبد الله محمد بن محمد، المتوفى سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر السادس، تحقيق إحسان عباس، بيروت ـ دار الثقافة، ١٩٧٣م، ٢٥؛ ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ٢٢٦.

وبذلك فالاتهامات التي وجهت لابن رشد جاءت من رجال لهم مكانتهم في الدولة، فقد استغل هؤلاء وجود المنصور بقرطبة في عام ٥٩٣هـ/ ١١٩٦-١١٩٧م، فتجددت آمالهم في المطالبة بابن رشد وأعادوا الكرة ثانية، فنجحوا فيما عقدوا العزم عليه، إذ كانوا «لا يسأمون من الانتظار ويرقبون أوقات الضرار»[٢]. وعرضوا على المنصور مزاعم باطلة لا تصدر من عالم كابن رشد[٣]، فادعوا عليه أنه ذكر في أحد مصنفاته أن الزهرة أحد الآلهة، ونسبوا إليه إنكار وجود بعض الأمم السابقة التي تناولها القرآن[٤].

مهما يكن من أمر، فقد جمع الخليفة المنصور الفقهاء بجامع قرطبة، في صورة أشبه بمحاكمة فعلية، وكان الاتهام الذى وجه لابن رشد بأنه «مرق من الدين واستوجب لعنة الضالين»[٥]. وقد تباينت أراء القضاة الموجودين، فمنهم من حاول نفي التهمة عن ابن رشد كالقاضي أبو عبد الله بن مروان، ولكن ما جاء بعد ذلك علي لسان قاض آخر سيضع ابن رشد في دائرة من مرق عن الدين فوجب إنزال العقوبات به، «فابتدر الكلام الخطيب أبو على بن حجاج وعرف الناس بما أمر به، من أنهم مرقوا من الدين وخالفوا عقائد المؤمنين، فنالهم ما شاء الله من الجفا، وتفرقوا على حكم من يعلم السر وأخفي»[٦].

وتبعًا لذلك فقد تم الإمعان في عقوبة ابن رشد، حيث عوقب بالنفي إلي مدينة لا يسكنها سوي اليهود، وهي مدينة أليسانة Lucena بالقرب من قرطبة، في إشارة

(١) المراكشي (محمد عبد الواحد بن على، المتوفى سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٦٣م، ٣٨٤.

(٢) ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، ٦: ٢٥.

(٣) عبد الكريم الفيلالي: التاريخ السياسي للمغرب، ٦٨.

(٤) المراكشي: المصدر السابق، ٣٨٥؛ ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، ٦: ٢٩.

(٥) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، ٦: ٢٥-٢٦.

(٦) المصدر نفسه، ٦: ٢٦.

إلى أنه ينسب إلى بني إسرائيل ، وأنه لا يعرف له نسب في قبائل الأندلس[١]. ويعد نفي ابن رشد لمدينة ليس بها مسلمين مبالغة في إهانته.

ولم يكتف الخليفة بتلك العقوبة بل نجده يرسل منشورًا عدد فيه الجرائم المنسوبة لابن رشد وصحبه للرعية ، حيث تم وصفهم بشتى النعوت ، بابتعادهم عن الدين والشريعة ، وحذر الرعية من السير وراءهم وإتباع مسلكهم ، وقد وصل الأمر إلى تصنيفهم بأنهم أشد خطرًا وضررًا من النصارى[٢].

كان لهذا المنشور أثر كبير في نفوس العوام ، فقد وصل الأمر بهم للحط من قدره ، وهذا من وجهة نظره أعظم شيء طرأ عليه في نكبته ، فيذكر أنه دخل مسجد قرطبة مع ابنه عبد الله فثار عليهما العوام وأخرجوهما من المسجد[٣]. وقد صاحب ذلك حملة دعائية كبيرة قام بها عدد من الشعراء في ذم ابن رشد[٤].

الجدير بالذكر أن المصادر قد ساقت أسبابًا أخرى وراء هذه النكبة ، فمن خلال رواية المراكشي يتضح أن ابن رشد لم يكن من الذين يحرصون علي مدح الملوك وإعلاء شأنهم ، فهذه سمة شخصية خاصة به ، ولو كان من هؤلاء لتمكن من بلورة أفكاره في إطار الحرص والتدبير ، فقد كتب في أحد كتبه عن الزرافة أنه رآها عند ملك البربر ، سالكًا بذلك طريقة العلماء في الإخبار عن ملوك الأمم وأسماء الأقاليم ، ولم يفطن إلي الإطراء والمدح كما هي عادة الكتاب ، ولم يأخذ برأي القائل : «رحم الله من عرف زمانه فمانه ، وميز مكانه فكانه»[١].

أما السبب الأخير الذي ساقه المؤرخون كأحد أسباب نكبة ابن رشد ، أنه كان

---

(١) ابن عبد الملك المراكشي : الذيل والتكملة ، ٦: ٢٦؛ عبد الله السويسي : تاريخ رباط الفتح ، ٣١.

(٢) المراكشي : المعجب ، ٣٨٥؛ ابن عبد الملك المراكشي : المصدر السابق ، ٦: ٢٦-٢٨.

(٣) ابن عبد الملك المراكشي : المصدر السابق ، ٦: ٢٦؛ عبد الله السويسي : تاريخ رباط الفتح ، ٣١.

(٤) عنها انظر : ابن عبد الملك المراكشي : المصدر السابق ، ٦: ٣٠.

على اتصال بأبي يحيي أخو الخليفة المنصور ووالیه على قرطبة[٢]، والذي قد سبق له أن انتهز فرصة مرض المنصور في عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م ودعي لنفسه بالبيعة[٣].

يعتبر السبب الخاص بمؤلفات ابن رشد هو السبب الأقوى وراء نكبته، فلو كان الأمر متعلقًا باتصاله بأبي يحيي فما الذى يجعل المنصور يصبر كل هذه المدة لينال منه؟ فقد كانت دعوة أبي يحيي لنفسه بالبيعة في عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م، بينما كانت نكبة ابن رشد في عام ٥٩٣هـ/١١٩٦-١١٩٧م، كما أن المنصور في هذه الواقعة قام بقتل أخيه أبي يحيي[٤]، فما الذى يجعله يتورع عن قتل من يؤيده ويدفعه؟ أضف إلى ذلك أنه إذا صح هذا الكلام، فقد كان المنصور قادرًا على التصرف بعيدًا عن تهمة الزندقة والمروق[٥].

مما يعضد ذلك أن المنصور عفي عن ابن رشد بعد ذلك وأسكنه مراكش، بل إن المنصور نفسه جنح إلي تعلم الفلسفة[٦]. وليس هذا تناقضًا في موقف المنصور من الفلسفة والفلاسفة من حيث محاربتها ثم الاتجاه إلي تعلمها، فربما يعزو هذا الأمر أنه تفهم مقاصد ابن رشد واتضحت له الأمور[٧]. أما عن السبب الخاص بعدم حرص ابن رشد علي إطراء الحكام، فالرواية التاريخية نفسها تشير إلي أن الوشاة لم يذكروا هذا الأمر للمنصور «فكان هذا مما أحنقهم عليه، غير أنهم لم

---

(١) المراكشي: المعجب، ٣٨٤.

(٢) ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، ٦: ٢٦؛ عبد الكريم الفيلالي: التاريخ السياسي للمغرب، ٦٩.

(٣) المراكشي: المصدر السابق، ٣٥٧-٣٥٨.

(٤) المراكشي: المصدر السابق، ٣٥٧-٣٥٨.

(٥) عبد الله السويسي: تاريخ رباط الفتح، ٣٢.

(٦) المراكشي: المصدر السابق، ٣٨٥.

(٧) ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، ٦: ٢٦.

يظهروا ذلك»[١].

لعبت العوامل السياسية أيضًا دورًا كبيرًا في إزكاء وشايات تلك الفترة، وتعد قضية ابن عطية من أشهر الدلائل علي الصراع السياسي، وقد نال ابن عطية مكانة عالية في فترة حكم عبد المؤمن بن علي (٥٢٨-٥٥٩هـ/١١٣٣-١١٦٣م) فهو كاتبه ووزيره، وتناولت بعض المصادر أسباب الإيقاع بابن عطية، وذكرت أن أحد تلك الأسباب أنه أفشى سرًا لعبد المؤمن ابن على ومواصلة خصومه[٢]، وزاد الأمر سوءً وتعقيدًا الدور الذي لعبه عبد السلام الكومى، الذي حل محل ابن عطية في منصب الوزارة، حيث لعبت عوامل الحقد والحسد دورها في إشعال الفتنة، وإيغار صدر الخليفة على كاتبه ووزيره[٣]، «وجد في التماس عوراته، وتشنيع سقطاته، وأغرى به صناعه، وشحن عليه حاشيته، فبروا وراشوا وانقلبوا»[٤]، وأزكى تلك الوشايات عدم وجود ابن عطية بالحضرة حيث كان موجودًا بإشبيلية Sevilla في الأندلس مع يوسف بن عبد المؤمن، عندما استولى النصارى على قصبة المرية[٥].

تأتى رواية المراكشي لتوضح جوانب مهمة من تلك القضية، فقد كان ابن عطية زوجًا لابنة أبى بكر بن يوسف بن تاشفين، ولها أخ يدعى يحيي بن

---

(١) المراكشي: المعجب، ٣٨٤.

(٢) ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ٥٩؛ السملالى: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج ٢، راجعه عبد الوهاب منصور، الرباط ـ المطبعة الملكية، ١٩٩٣م، ٦٢.

(٣) ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ٥٧؛ السلاوى: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري وآخر، الدار البيضاء-دار الكتاب، ١٩٥٤م، ٢: ١١٧؛ فاضل فتحي: الفتن والنكبات الخاصة وأثرها في الشعر الأندلسي، المملكة العربية السعودية-دار الأندلس، ١٩٩٦م، ٤١١-٤١٢.

(٤) السملالى: المرجع السابق، ٢: ٦٢.

(٥) السلاوى: الاستقصا، ٢: ١١٧؛ السملالى: الإعلام، ٢: ٦٢؛ فاضل فتحي: الفتن والنكبات، ٤١١.

الصحراوية ، فنال هذا الأمير مكانة عند الموحدين بعد أن دخل في طاعتهم ، إلى أن نقلت عنه أشياء إلى عبد المؤمن أوغرت صدره عليه وغضب منه ، وتحدث عبد المؤمن بذلك في أحد مجالسه ، وهم بالقبض عليه فأراد ابن عطية أن يجمع بين المصلحتين من نصح أميره وتحذيره لصهره ، فطلب من زوجته أن تخبر أخاها أن يتحفظ ويتعلل إذا دعي إلى مجلس عبد المؤمن ، وإن قدر على الهروب فليفعل ، فتمارض يحيي وأحجم عن الذهاب ، ولما قام أصدقائه بعيادته أسر لأحدهم بما كان من ابن عطية ، فخرج هذا الرجل وأخبر القصة إلى أحد أبناء عبد المؤمن ، فوصلت القصة برمتها إلى عبد المؤمن[١].

وصلت تلك الأنباء إلى ابن عطية أثناء وجوده بالأندلس ، فقرر العودة إلى مراكش لتوضيح الأمر[٢] ، إلا أن عبد المؤمن كان قد تغير على وزيره وحجبه عن لقائه ، وأمر بالقبض عليه وأنفذ فيه الأمر بالقتل ، رغم المكانة التي يتمتع بها لدى عبد المؤمن ، هذا بالإضافة إلى القبض على صهره ابن الصحراوية ، وإلقائه بالسجن حتى مات[٣]. إن تغير عبدالمؤمن على وزيره وقتله ، تعد أكبر دليل على حجم ما تفعله تلك الوشايات ، وما تمثله من خطورة.

كما كان للحقد والعلاقات السيئة بين البعض دور كبير في وشايات هذه الفترة ، ومن دلائل ذلك : ما حدث بين قامتين كبيرتين في العصر المرابطي ، أبو العلاء بن زهر الوزير والطبيب ، وابن منظور قاضي إشبيلية ، الذي اتهمه ابن زهر بتلقي الرشوة ، الأمر الذى جعل الأمير علي بن يوسف يصدر أمرًا بعزل ابن منظور عام (٥٠٠هـ/ ١١٠٦-١١٠٧م)[١].

---

(١) المراكشي : المعجب ، ٢٦٨.

(٢) ابن عذارى : البيان ، قسم الموحدين ، ٥٧؛ السلاوى : الاستقصا ، ٢: ١١٨.

(٣) المراكشي : المصدر السابق ، ٢٦٨؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ٥٨.

لا تخلو تلك القضية من الصراع الذي يهدد صحة هذا الاتهام ، فقد أشارت المصادر إلى وجود تنافس بين ابن منظور وابن زهر ، ويبدو أن هذا التنافس هو السبب وراء اتهام ابن زهر لابن منظور بتلقيه الرشوة ، لاسيما عندما نجد أن المصادر تشير إلي واقعة حدثت بينهما ، ففى يوم أصيب ابن زهر بمرض ، فاستهزأ ابن منظور من مرضه وهو الطبيب المشهور؛ مما جعل ابن زهر يرميه بالرشوة[٢].

بنظرة أدق ولكي يتضح السبب الحقيقي وراء عزل ابن منظور ، نجد أن أصل الصراع الدائر بين هاتين القامتين الكبيرتين آنذاك ، أن أسرة بني زهر[٣] قد تعرضت من قبل لاستصفاء أموالهم من قبل أبي القاسم محمد بن عباد (٤١٤-٤٣٣هـ/ ١٠٢٣-١٠٤١م) المتغلب على إشبيلية ، ولما استعاد بنو زهر مكانتهم التي ازدادت

---

(١) ابن عذارى : البيان قسم الموحدين ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ـ دار الثقافة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣م ، ٤: ٤٩.

(٢) وقد نظم ابن زهر شعرًا قال فيه:

إن ابن منظور تعجب هازلًا لما مرضت فقلت : يعثر من مشى
قد كان جالينوس يمرض دائمًا فمن الفقيه المرتضي أكل الرشى

ابن عذارى : المصدر السابق ، ٤: ٤٩.

(٣) بنو زهر هم أحد الأسر العلمية العريقة التي بلغت مكانة عظيمة في العلم ، وارتقت بها مكانة جيدة لدى الحكام ، فجدهم هو الفقيه محمد بن مروان بن زهر ، كان في بداية الدولة العبادية ، وبلغ مكانة كبيرة جعلت القاضي أبي القاسم محمد بن عباد المتغلب على إشبيلية يحسده على تلك المكانة ، فاضطره على مغادرة بلده ، واستصفى جميع أمواله ، فلحق بشرق الأندلس وهناك رزق بابنه أبي مروان ، الذي برع كثيرًا في الطب ، وقصد أبو مروان دانية وفيها وُلد له ابنه أبي العلاء الذي برع كذلك في الطب ، ولما انتقل يوسف بن تاشفين إلى الأندلس لحق به أبو العلاء ، إلا أنه مكث بإشبيلية بعد أن أغراه المعتمد بالمال ، وظل بها حتى أنجب ابنه أبي مروان عبد الملك ، وقد نال أبو العلاء لدى الأمير يوسف بن تاشفين مكانة كبيرة ، وازدادت كذلك مكانته وابنه أبي مروان لدى الأمير علي بن يوسف ، واستعادت أسرة بني زهر مكانتها السابقة في إشبيلية ، وأصبحت المراكز المهمة في أيديهم حتى نكبوا ، ومنهم كذلك أبو بكر بن زهر الذي تقلد مكانة لدى الموحدين ، في عهد الخليفة المنصور. انظر : ابن بسام (أبو الحسن علي ، المتوفى سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م) : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق ٢، م ١، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ـ دار=

بشكل ملحوظ في العصر المرابطي ، حاولوا استرجاع أملاك جدهم ، فرجعوا إلى القضاء لاسترجاعها ، إلا أن ابن منظور لم يستطع أن يدلي فيها برأي قاطع ، نظرًا لمكانة أبي العلاء بن زهر عند أمير المسلمين ، ولما عرضت القضية على قضاة قرطبة أفتوا بعدم أحقية بني زهر في هذه الأملاك؛ وذلك لمرور وقت طويل على هذه الأملاك ، وعدم وجود ما يثبت مقدارها[١]. وبالتالي فإن السبب المتعلق بأملاك بني زهر ، يعد هو الأقوى وراء الصراع بين ابن منظور وأبي العلاء بن زهر.

لم تمر أعوام قليلة حتى غضب الأمير علي بن يوسف على ابن زهر في عام (٥١١هـ/١١١٧-١١١٨م) ، بسبب بعض الوشايات من خصومه ومنافسيه ، فأعرض عنه الأمير علي ، ولم يسمح له بالقدوم إليه في الحضرة بمراكش[٢].

وفي [illegible] وقت في عهد المنصور الموحدي مع الشيخ أبي [illegible] بن شعيب بن حسن الأنصاري ، وشي به أحد الحاقدين عليه لدى الخليفة المنصور ، وأخبره بأنه يشبه المهدي ابن تومرت ، ويشكل خطرًا كبيرًا على دولته ، لاسيما وأن له أتباع كثر ، وأصحابه في كل مكان ، وأكثروا فيه الحديث ، حتى وقع ذلك في قلب

=الثقافة ، ١٩٧٩م ، ٢١٨-٢٢٠؛ ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن حسن ، المتوفى سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م) : المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق إبراهيم الإبياري وآخرون ، بيروت - دار العلم ، ب.ت ، ٢٠٣؛ ابن عذارى : البيان ، ٤: ٦٥؛ المقري (أحمد بن محمد التلمساني ، المتوفى سنة ١٠٤١هـ/١٦٣١م) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت - دار صادر ، ١٩٨٨م ، ٢: ٢٤٤-٢٤٥ ، ٢٤٧-٢٤٩؛ عصمت دندش : أضواء جديدة على المرابطين ، بيروت - دار الغرب الإسلامي،١٩٩١م ، ١١٩-١٢٢.

(١) ابن رشد (محمد بن أحمد القرطبي ، المتوفى سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م) : فتاوى ابن رشد ، س ١ ، تحقيق المختار ابن الطاهر ، بيروت - دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٧م ، ٢٠٢-٢٠٥ ، ٣٢٥-٣٢٩ ، ٣٤٥-٣٤٩؛ ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ١: ٢١٩؛ عصمت دندش : المرجع السابق ، ١٢٨.

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ٤: ٦٥.

المنصور وأهمه شأنه ، وعلى الرغم من هذه الوشاية ، فإن المنصور عرف للشيخ أبي مدين مكانته ومقداره ، فكانت أوامره لقائد بجاية[١] أن يحمل إليه الشيخ حملًا كريمًا ، إلا أن الشيخ وافته المنية بالقرب من تلمسان في عام ٥٩٤هـ/١١٩٨م[٢].

إن تعامل المنصور هذا ينطوي في داخله على أن الدولة الموحدية كانت حريصة على مواجهة أية حركة أو شخص قد يهدد ملكها ، حتى لو كان الأمر لا يعدو كونه مجرد وشاية ، وأمر غير متوقع أن يحدث من شيخ كأبي مدين.

يضاف إلى ما سبق من دوافع للوشاية دوافع أخرى ، نابعة من الخوف على المكانة أو العقاب جراء ارتكاب بعض الأخطاء ، أو بمعنى آخر يقوم شخص بدس الأخبار الكاذبة عن شخص آخر حتى يغض الطرف عن جرائم اقترفها ، وهذا ما حدث في عهد الناصر (٥٩٦-٦١٠هـ/١١٩٩-١٢١٣م) من وزيره وشيخ الموحدين أبي سعيد بن جامع ، حيث كانت له آراء سيئة خلال حصار الناصر لحصن شلبطرة[٣] ، ومن تلك الآراء : أنه لما علم بعزم الناصر على فض هذا الحصار لمناعة الحصن ، أشار عليه بألا يتركه حتى يفتحه ، وبالتالي استمر هذا الحصار لمدة ثمانية أشهر ، كانت كفيلة ببث الضعف والوهن في نفوس القوات الموحدية ، هذا بالإضافة إلى دخول فصل الشتاء ، وقد استغل ألفونسو الثامن القشتالي

---

(١) بجاية : قاعدة المغرب الأوسط وتقع على البحر المتوسط ، وهي مدينة تجارية ويشتغل أهلها بالتجارة ، وبها دار لإنشاء الأساطيل؛ وذلك لكثرة الأشجار بأوديتها وجبالها ، وقد تعرضت هذه المدينة لهجوم من قبل على ابن إسحاق المشهور بابن غانية في عام ٥٨٠هـ/١١٤٨م. الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، المتوفى أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ـ مكتبة لبنان ، ١٩٨٤م ، ٥٨٠-٥٨٢.

(٢) ابن قنفذ (أبو العباس أحمد الخطيب القسنطيني ، المتوفى سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧-١٤٠٨م) : أنس الفقير وعز الحقير ، نشر محمد الفاسي وآخر ، الرباط ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، ١٩٦٥م ، ١٠٢-١٠٣؛ التادلي الصومعي : المعزى ، ١٦٤-١٦٥.

(٣) شلبطرة : أحد الحصون الأندلسية التابعة لقلعة رباح ، وقد حاصره الخليفة الناصر في بدايات عام=

(٥٥٣ـ٦١١هـ/١١٥٨ـ١٢١٤م) ذلك الأمر وحاصر قلعة رباح Calatrava[١]، وكان يتولاها آنذاك أحد قواد الأندلس أبو الحجاج يوسف بن قادس، وخلال مدة الحصار راسل ابن قادس الناصر يستصرخه، إلا أن ابن جامع أخفى تلك الرسائل عن الناصر ليتحقق له رأيه سالف الذكر، أمام ذلك لم يجد ابن قادس بدًا من تسليم القلعة، فذهب ومعه صهره إلى الناصر، وبمجرد وصولهما أمر ابن جامع بحبسهما، وأوغر صدر الناصر عليه؛ حتى لا يفتضح أمر رسائل ابن قادس، فأمر الناصر بقتلهما[٢].

هكذا تسببت العوامل السياسية والنفسية في وجود الوشايات داخل العصرين المرابطي والموحدي، مما نتج عنه تعرض البعض للعقوبة، حيث وجدت الوشاية صدًا لها، خاصة في البلاط الموحدي، الذي كان يشعر بالخطر الدائم، وهذا يفسر تعاملهم الحذر مع ما يرد إليهم من أخبار.

٢ـ وشايات خاصة بتابعي الحاكم وعيونه

تختفي في تلك النوعية من الوشايات الدوافع المحركة لها؛ فهي ناتجة عن تابعي

=٦٠٨هـ/١٢١١م، واستمر هذا الحصار لمدة خمسين يومًا بعدها سقط في يد الناصر. الحميرى: الروض المعطار، ٣٤٤.

(١) قلعة رباح: قلعة أندلسية تقع غربي طليطلة وإلى الشرق من قرطبة، وتقع على نهر يانة أو آنة، وتتميز أرضها بالخصب وبها مزارع وماشية كثيرة جيدة الإنتاج، وقد لعبت تلك المدينة دورًا كبيرًا خلال الوجود الإسلامي بالأندلس، فكانت بمثابة حصنًا أماميًا لجنوب الأندلس. الرشاطى (أبو محمد، المتوفى سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م) وابن الخراط (الإشبيلى، المتوفى سنة ٥٨١هـ/١١٨٦م): الأندلس في اقتباس الأنوار وفى اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق إميليو مولينا وآخر، مدريد ـ المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، ١٩٩٠م، ١٤١؛ يوسف أحمد: بلدان الأندلس في أعمال ياقوت الحموي الجغرافية، الإمارات ـ مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٤م، ٣١٢؛ عبير زكريا: أضواء تاريخية حول مدينة قلعة رباح حصن الأندلس الأمامي ٢١٩ـ٦٠٩هـ/٨٣٣ـ١٢١١م، مجلة مركز الخدمة للإستشارات البحثية ـ جامعة المنوفية، كلية الآداب، يناير، ٢٠٠٧م، ١ـ٢.

(٢) السلاوي: الاستقصا، ٢: ١٩٨ـ١٩٩.

الحاكم وعيونه ، وهذا يشبه جهاز المخابرات في المعني العصري ، رغم أن المصادر لم تشر إلى ذلك صراحة ، على أية حال ، فمن خلال تلك المصادر يمكن القول بأن عيون الحكام قد قامت بدورها على أكمل وجه لاسيما في عصر الدولة الموحدية ، وفي الوقت نفسه فإن كثرة تلك النوعية من الأخبار التي ترد للحاكم يعكس مدى التوتر داخل نظام الحكم.

إن النماذج على هذا الأمر عديدة ، ولكن نكتفي ببعضها لإيضاح الصورة ، ففي قضية محمد بن تومرت الذي ظهر في عهد الأمير علي بن يوسف في ثوب الداعي للإصلاح ، على الفور نقلت الأخبار لعلي بن يوسف ، فقرر مناظرته من قبل العلماء ، إلا أن ابن تومرت كانت له دراية بعلم الكلام فغلبهم ، من هنا أخذت الدولة المرابطية موقفًا منه بدأ بالنفي وانتهي بالمطاردة[١].

بعد ظهور ابن تومرت نجد أن السياسة المرابطية تتغير فيما يرد إليها من أخبار ، ويظهر هذا الأمر بوضوح في تعاملها مع الصوفي الشيخ أبي الحكم بن برجان المتوفى عام ٥٣٦هـ/١١٤١-١١٤٢م ، فتذكر إحدى الروايات التاريخية أن الأمير علي بن يوسف نقلت إليه بعض الأخبار عن الشيخ أبي الحكم ، الأمر الذي دعا الأمير علي أن يصدر أمرًا بحضوره من قرطبة إلى مراكش[١].

لعب الوشاة أيضًا دورًا فاعلًا في البلاط الموحدي ، ففي قضية عيسي وعبد العزيز أخوي المهدي بن تومرت ، اللذين كانت لهما أطماع في الحكم وغير

---

[١] للمزيد راجع المراكشي : المعجب ، ٢٤٥-٢٥٤؛ ابن أبى زرع (أبو الحسن على الفاسي ، كان حيًا ٧٢٦هـ/١٣٢٥م) : الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، الرباط - دار المنصور للطباعة والوراقة ، ١٩٧٢م ، ١٧٣-١٧٧؛ أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ج ١، ترجمة محمد عبد الله عنان ، القاهرة - مكتبة الخانجى ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٦م ، ١٩٥؛ CLAUDIO SANCHEZ, *La Espa'a Musulmana seg'n los autores Islamistas y Cristianos Medievales*, Madrid, Tomo 1, 1974, pp.234-235; CODERA, *Decadencia y desaparicion de los Almoravides en Espa'a*, zaragoza, 1899, pp.17-19.

راضيين بحكم عبدالمؤمن بن علي ، نقلت الأخبار إليه بالدور الذي يلعبه صهرهما وابن عمهما يصلاتن ، الذي كان يقوم بتحريضهما على الخروج ، فلم يجد الأخوان بدًا من تدبير مؤامرة لقتل عبدالمؤمن ، إلا أن محاولتهما باءت بالفشل؛ لأن خطتهما نقلت بكافة تفاصيلها لعبد المؤمن[٢].

واصل العيون دورهم في حماية حكام الدولة الموحدية ، ففي عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٩-٥٨٠هـ/١١٦٣-١١٨٤م) عام ٥٧٥هـ/ ١١٧٩-١١٨٠م ، سيطر علي ابن المعز على مدينة قفصة[٣] ، وأعلن انفصاله عن الموحدين ، فتحرك الخليفة قاصدًا تلك المدينة ، وفي أثناء ذلك مر على مدينة بجاية ، فتحقق عنده أن أحد رجالاتها ، ويدعى يعلي بن المنتصر ، الذي كان عبد المؤمن قد أجلاه من قبل عن قفصة وأسكنه ببجاية ، يواصل قريبه علي بن المعز الثائر بقفصة ، فقام بالقبض عليه ، وأمر بتفتيش منزله فوجدت عنده مخاطبات العرب إليه ، وتحقق لدى عبد المؤمن فعل ابن المنتصر من تحريض العرب على الثورة ، ومساعدة الخارجين على الدولة ، ممثلًا في علي بن المعز[١].

---

(١) ابن القاضي (أحمد بن القاضي المكناسي ، المتوفى سنة ١٠٢٥هـ/١٦١٦م) : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، ق ٢، الرباط ـ دار المنصور ، ١٩٧٣م ، ٤٦٥.

(٢) البيذق (أبو بكر على الصنهاجي ، المتوفى منتصف القرن السادس الهجري/ القرن الثاني عشر الميلادي) : أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الرباط ـ دار المنصور للطباعة ، ١٩٧١م ، ٧٥؛ المراكشي : المعجب ، ٣٠٣؛ ابن عذارى : البيان ، قسم الموحدين ، ٤٦، ٥٠؛ السلاوى : الاستقصا ، ٢: ١١٠؛ مصطفي بنسباع : السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين ، تطوان ـ منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية ١٩٩٩م ، ٧٤.

(٣) قفصة : مدينة بإفريقية بين القيروان وقابس ، تتميز بكثرة مياهها ، وتحيط بها غابة كبيرة مليئة بالنخيل والزيتون وشتى الفواكه الأخرى. مجهول (من كتاب القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) : الاستبصار في عجائب الأمصار ، تعليق سعد زغلول عبد الحميد ، بغداد ـ دار الشئون الثقافية العامة ، ١٩٨٦م ، ١٥٠-١٥٤.

لم يقتصر دور عيون الحاكم على حمايته واستقرار دولته، بل امتد للحفاظ على هيبته، فعندما انتقد الأديب أبي القاسم أخيل بن إدريس الرندي الخليفة عبد المؤمن بن على، ورأي بعدم أهليته لمنصب الخلافة؛ فهي لا تصح له لأنه ليس بقرشي[٢]. الأمر نفسه حدث في عهد الخليفة الرشيد (٦٣٠-٦٤٠هـ/ ١٢٣٢-١٢٤٢م)، لما أمر وزيره الشيخ أبى موسى باستدعاء شيوخ الموحدين، لبوا جميعًا الأمر، إلا أبو إسحاق بن الشيخ الذي يعرف بابن أمغار[٣]، تكبر ولم يجبه بل قدح في حقه واستحقره؛ لأنه من عامة الموحدين من قبيلة كومية بينما هو من أهل الجماعة من هَرْغة[٤]، ولما نمى هذا الخبر إلى الرشيد أصدر أمرًا بسجن أشياخ الموحدين بموضع جلوسهم، إلا أنه عفي عنهم في النهاية[١].

ساهمت الأخبار التي ترد للحاكم في كشف أخطاء الولاة، ومثلت عينًا عليهم وعلى أفعالهم، مما كان له أثره في الحفاظ على قوام الدولة وهيبتها، وقد رصدت

---

(١) ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ١٤١؛ ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، المتوفى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): تاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة وآخر، بيروت - دار الفكر، ٢٠٠٠م، ٦: ٣٢٣؛ الزركشى (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، كان حيًا عام ٨٩٤هـ/١٤٨٨م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، تونس - المكتبة العتيقة، الطبعة الرابعة، ١٩٦٦م، ١٤.

(٢) المقري: نفح الطيب، ٤: ٢٠٣.

(٣) هم قوم من قرابة محمد بن تومرت، ويعرفون بأيت ومغار ومعناه في العربية بنو ابن الشيخ (وهو ابن تومرت)، وقد كانت لهم أطماع في الحكم منذ أن تولى عبد المؤمن، حيث لم يكونوا راضين بذلك. المراكشي: المعجب، ٣٠٣؛ مصطفي بنسباع: السلطة بين التسنن والتشيع، ٧١.

(٤) هرغة: هى تلك القبيلة التي ينتمي إليها محمد بن تومرت، كانت تقطن تلك القبيلة إلى الجنوب من مراكش، وتحتل السفح الشمالي المواجه لجبال أطلس، فيما بين قبائل هشتوكة المجاورة لساحل المحيط الأطلسي، وبين سكتانة إلى الغرب من درعة، وتضم في نفس المنطقة قبائل هرغة، وهذا الاسم إنما هو ترجمة إلى العربية للاسم البربري أرغن. المراكشي: المصدر السابق، ٤٢٣-٤٢٥؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ٦: ٣٥٩-٣٦٠؛ إ.ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد عبد العزيز سالم وآخر، الإسكندرية - مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٠م، ٢٥٩-٢٦٠.

المصادر الشدة التي تعامل معها الموحدون في تلك النوعية من الأخبار، لاسيما عندما نعلم أن الخليفة المنصور كان يعاقب عماله بالقتل إذا ما اشتكي منهم رعيتهم، ففي عام ٥٨٤هـ/١١٨٨م قام بقتل واليه على مرسية Murcia[٢] أبي حفص الملقب بالرشيد، لما نقل عنه سطوته على رعيته وعلى التجار وبيت المال ومواصلته النصارى[٣].

الخاتمـــة

خلص هذا البحث إلى عدد من النتائج منها:

تسببت الوشاية بعواملها المتعددة في إهانة عدد من العلماء، بل وفي مقتل شخصيات أخرى لها مكانتها وقتها.

رصد البحث تباين كبير في تعامل المرابطين والموحدين مع الوشايات، مع الأخذ في الاعتبار السياسة التي قامت على أساسها كلتا الدولتان.

تلك السياسة التي أثرت على موقف الدولة المرابطية في تعاملها مع ابن تومرت، وهذا واضح من موقف الأمير علي بن يوسف، لما أشار عليه الفقهاء بقتله أو بسجنه على أقل تقدير، رفض ذلك قائلًا: «علام نأخذ رجلًا من المسلمين لم يتعين عليه حق، وهل السجن إلا أخو القتل؟ ولكن نأمره أن يخرج عنا من البلد وليتوجه حيث شاء»[١].

لكن هذه السياسة أخذت تتغير وتأخذ شكلًا من الحيطة والحذر، وظهر ذلك

---

(١) ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ٣٣٧-٣٣٨.

(٢) مرسية: مدينة أندلسية، بنيت على يد الأمير عبد الرحمن بن الحكم، وهي تقع على نهر كبير، وتكثر بها الفواكه والمعادن، وإليها ينسب اللغوي أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التياني المرسي. الحميري: الروض المعطار، ٥٣٩-٥٤٠.

(٣) ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ١٩٩-٢٠٠؛ السلاوي: الاستقصا، ٢: ١٧٨.

في تعاملها مع الوشايات التي وردت إليها عن أقطاب الصوفية، الذين أجبر بعضهم على الحضور لمجلس الأمير علي، ليس هذا فحسب بل تم التضييق عليهم ومراقبة أفعالهم، ساعد على هذا الدور الذي لعبه الصوفية داخل المجتمع[٢].

الأمر كان أكثر وضوحًا في الدولة الموحدية، التي شهدت على عدم شرعيتها من خلال كيفية تعاملها مع الوشاية، ولم تكرر الخطأ الذي وقع فيه المرابطون، وتمتعت بقدر أكبر من الحذر، حيث تعاملت بحزم مع الصوفية، ومن نقلت عنه أخبار تتعلق بالحكم، حيث أكدت أحد الدراسات على عظم حجم عقوبات القتل بسبب هذا الأمر في العصر الموحدي[٣].

لم تقتصر النتائج المتعلقة بالوشاية على النتائج السياسية فحسب، بل كانت هناك نتائج أخرى، حيث تسببت وشايات المتنافسين علميًا وسياسيًا في عقاب الكثيرين، وصل الأمر إلى حد القتل، مما لا يدع مجالًا للشك حول خطورة الوشاية على المجتمعات والنظم الحاكمة.

---

(١) المراكشي: المعجب، ٢٥٣-٢٥٤.

(٢) إبراهيم القادري بوتشيش: الخطاب الاجتماعي في الكرامة الصوفية بالمغرب خلال عصري المرابطين والموحدين، بحث ضمن ندوة «جوانب من التاريخ الاجتماعي للبلدان المتوسطية خلال العصر الوسيط»، مكناس ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، سلسلة الندوات ٢، ١٩٩١م، ١٠٢-١٠٣.

(٣) أحمد إبراهيم رفاعي: الجريمة والعقوبة في المغرب والأندلس خلال عصري المرابطين والموحدين (٤٥٠-٦٦٨هـ/١٠٥٨-١٢٦٩م) دراسة تاريخية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة سوهاج - كلية الآداب، ٢٠١٥م، ١٧٧-١٧٨.